استخدام اسلحة الدمـار الشامل

حسابات الضربة الاولى والثانية في الصراع العربي ـ الاسرائيلي

طلعت أحمد مسلم

كان ظهور الاسلحة النووية، لأول مرة من التاريخ، في آب (اغسطس) ١٩٤٥، نقطة تحوّل هامّة في الفكر العسكري، وخاصة في دراسة فن الحرب؛ ذلك العلم الذي يحتل مركز الصدارة في العلوم العسكرية. ولقد بدأ التحوّل الى درس فن الحرب بتأثير الاسلحة النووية على الاستراتيجية العسكرية، لكنه سرعان ما امتدّ الى باقي فروع هذا العلم بمستوييه: التكتيك وفن العمليات؛ كما كان له تأثيره الواضح في السياسة العسكرية، أو في ما يسمّى بالعقيدة العسكرية.

ولقد كان انفراد الولايات المتحدة الاميركية بامتلاك الاسلحة النووية، في المرحلة الاولى، سبباً في ظهور استراتيجية ما سمّي بـ «الردع المطلق»، والتي اعتمدت على ان ملكية الدولة للسلاح النووي كفيل بردع الطرف الآخر، سواء من طريق الاعتقاد بأن هذه الدولة يمكن ان توجّه ضربة نووية وحيدة، أو ضربات نووية متتالية، الى خصمها. والاعتقاد الذي كان سائداً في ذلك الوقت هو انه تكفي ضربة نووية واحدة لردع أي خصم من القيام بعمل يتحدّى ارادتها، أو يمسّ مصالحها الحيوية.

وهكذا لم يكن الامر يحتاج الى حسابات دقيقة، أو مفصّلة. وكان الحديث عن الضربة لا يحتاج الى تقسيمها الى ضربات، أو حتى حسابات رد فعل الجانب الآخر الذي كان لا يمتلك سلاحاً مشابهاً له القدرة التدميرية ذاتها. وعلى الرغم من ان أسلحة التدمير الشامل الاخرى، من اسلحة كيميائية وبكتريولوجية، كانت معروفة، بل ومستخدمة، في ظروف سابقة، الّا ان احداً لم يتصوّر انها يمكن ان تكون ردّاً فعّالاً ومؤثراً يمكن حسابه في موازين القوى. وقد كان احد أسباب ذلك ان الولايات المتحدة الاميركية، التي كانت تنفرد بامتلاك الاسلحة النووية، دولة كبيرة في المساحة وعدد السكان، بحيث لا يمكن قياس تأثير أسلحة التدمير الشامل الاخرى فيها بالآثار المحتملة لاستخدام الاسلحة النووية ضد خصمها الرئيس في ذلك الوقت، وهو الاتحاد السوفياتي؛ كما ان المعلومات التي كانت معروفة، في ذلك الوقت، عن تأثير السلاح النووي كانت غير دقيقة، وتعطي تصوّراً ضخماً لتأثيرها، ولم يكن هناك تصوّر لامكان الوقاية من هذا التأثير. أخيراً، ان قصور وسائل الاتحاد السوفياتي المعروفة في ذلك الوقت، التي كان يحتمل ان يستخدمها في اطلاق اسلحته الكيميائية والبكتريولوجية، جعل احتمالات الموازنة والتوازن غير واردة.

لم يلبث الأمر طويلاً حتى امتلك الاتحاد السوفياتي، وبعده دول كبرى أخرى، الاسلحة